

## الأخوان وانلي.. فح محاكاة الواقع



«القاهرة:» الخليج

تکمن أهمية الأخوين سيف وأدهم وانلي في أن تجربتهما تتجاوز مقولة أنهما يمثلان الانفتاح البكر على فنون الحدائة الأوروبية بمدارسها المثيرة للجدل، والملهمة لحركات فنية جديدة على مستوى العالم، منذ أوائل القرن العشرين، مثل التكعيبية والتجريدية والوحشية والدادية والسيرالية والمستقبلية، عبر إطلاهما عليها من شاطئ الإسكندرية نحو الشاطئ الآخر للبحر المتوسط، إلى أن يكونا بمثابة عاصفة فنية، هبت على حالة الجمود الأكاديمي للفن المصري في أواسط الثلاثينيات من القرن الماضي، وفتحت النوافذ لدخول حبوب اللقاح من حدائق الفن الحديث في الغرب، لتنبث أزهاراً جديدة تسعى لتجاوز تلك الحالة من الجمود التي كرسها أبناء الجيل الثاني من الحركة الفنية، بتبعيتهم المطلقة- موضوعياً وأسلوبياً- لجيل الرواد الأوائل، وعلى رأسهم مختار وناجي وسعيد وكامل وعباد وصبري ومحمد حسن، بعد أن قالوا كلمتهم الأخيرة، وأنجزوا مشروعهم التاريخي على خير وجه، بوضع الأساس لمدرسة مصرية حديثة، بمفهوم يزاوج بين الخصوصية المحلية وبين لغة التطور العالمي للفن، حتى نهايات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. يسعى صفوت قاسم في كتابه «الأخوان سيف وانلي وأدهم وانلي» إلى سبر أغوار هذه التجربة الريادية للأخوان وانلي

وتحليل عناصرها الإبداعية والإنسانية، عبر سياقها المجتمعي والتاريخي والجمالي، بعيداً عن التقعر التخصصي والاعتدال اللغوي، معطياً أهمية خاصة للهجة المصرية «البصرية» التي استطاع الفنانون بها استلهاهم رؤى المدارس الأوروبية الحديثة، فباتت إنجازاتهما حميمة الصلة بالواقع المصري، بقدر ارتباطها بملامح الحضارة الغربية، حتى بلغا بعداً إنسانياً مفتوحاً، عابراً للقارات والثقافات، وكانا بذلك عاملاً مهماً في دفع اتجاهات الحداثة الفنية بمصر

ويوضح عز الدين نجيب في تقديمه للكتاب أن المؤلف أشار إشارة عابرة إلى أن أدهم وسيف وانلي مهدا لظهور جماعة الفن والحرية، فإنه رغم ذلك لم يهتم بعقد رابطة أو مقارنة بين تجربة الأخوين وانلي وبين تجربة الفن والحرية بقيادة رمسيس يونان وكامل التلمساني وفؤاد كامل، التي جاءت تالية بعد قليل من تجربتهما، ومتزامنة معهما بعد ذلك، مع أنها كانت بمثابة حجر كبير ألقى في البحيرة الراكدة للفن والأدب في مصر آنذاك، وأن فرسانها كانوا أكثر احتكاكاً بمناخ الثقافة والحداثة بأوروبا عن طريق الاتصال المباشر برواد إحدى المدارس الصاعدة وهي السيريلية إلى حد اعتناقها والتماهي معها ومع قادتها في باريس

كانت حوافز الإبداع لدى الأخوين وانلي تكمن في التجريب في لغة الشكل والبناء الفني من خلال الرؤية البصرية للواقع، لا الرؤية الباطنية للإنسان، دون الوقوع في محاكاة لذلك الواقع، بل العمل على تشريحه تشكيمياً حتى الوصول به إلى المحاكاة المدهشة لعالم جديد يتوازى مع الواقع الخارجي ولا يضاويه، وصولاً إلى أن يكون الفن قيمة جمالية لذاتها، بحس فنتازي يخلق بأجنحة الخيال، متأثرين في ذلك بعشقهما للموسيقى والباليه والأوبرا، والفنون الاستعراضية، وحرصهما على مشاهدة العروض الأجنبية التي كانت تأتي إلى الإسكندرية بصفة مستمرة والتعبير تشكيمياً عن تأثرهما بها، فوق ما أتيح لهما من علاقات مع كبار الفنانين والمتقنين الأوروبيين الذين كانوا يعيشون بالإسكندرية أو يزورونها، ما أكسبهما ثقافة عصرية وذوقاً فنياً رفيعاً، وشجعهما على متابعة ما يجد من فنون الحداثة عبر ما يصل إلى مكاتب الإسكندرية من مطبوعات فنية، كل ذلك على خلفية، من ثقافة شعبية انتميا إليها وتفاعلا معها بعيداً عن أي معتقدات إيديولوجية أو توجهات سياسية، وإن امتلكا حساً وطنياً ملحوظاً، بدا بوجه خاص في أعمالهما عن بيوت النوبة واحتفالات أبنائها لدى بناء السد العالي، وعن مظاهر الحياة الشعبية في شوارع الإسكندرية ومقاهيها ومينائها وكورنيشها وحفلات السيرك والمغنين وعازفي الشوارع وحياة الغجر والمهرجين.

يشير المؤلف إلى أن الأخوين وانلي مثلتهما مثل أغلب رموز جيل النهضة المصرية، لم يكن انتماءهما محل مساومة، مهما عظمت الإغراءات، ومهما بلغت قسوة الظروف، لقد مرت بسيف وأدهم وانلي ظروف مالية واجتماعية عصيبة، ذاقا خلالها الحرمان والتشرد، وقد كان بوسعهما، بعد أن صادقا العديد من الشخصيات الدولية المرموقة التي تزور الإسكندرية مع الفرق الأجنبية، وبعد أن سافرا إلى كثير من دول أوروبا، وأصبح فنهما مطلوباً فيها، كان بوسعهما أن يتركا مصر إلى عاصمة أوروبية، ليحققا نجاحاً عالمياً، لكنهما رفضا كل الفرص والعروض التي قدمت إليهما وفضلا العيش بالإسكندرية

ويقول: «أجدني أميل إلى تقسيم أعمال الأخوين وانلي إلى محاور فنية، بدلاً من التتابع الزمني لتواريخ إبداع اللوحات فبعد أن أنتهي من قراءة الأعمال التي تتعلق بصورة المرأة - على سبيل المثال - أنتقل إلى دراسة كيفية معالجة مناظر الشاطئ والميناء، ومنها إلى محور راقصات الباليه والأوبرا، ثم السيرك ومصارعة الثيران وهكذا بحيث يكون الموضوع» هو وحده الدراسة والرباط بين أعمال كل محور